

الموضوع: ملكوت الله (٢)

برنامج أنوار كاشفة

(مثل الكرم والكرامين)

مستمعينا الأعزاء، تحدثنا إليكم في اللقاء السابق عن معاني ملكوت الله أو ملكوت السموات. وتبين لنا أن المقصود بملكوت الله هو سلطان الله أو سلطان السماء على البشر. واتضح أن بشارة الملكوت التي كرز بها المسيح، كانت تشير إلى حلول الزمان الذي ستتحقق فيه وعود الله منذ القديم للإنسان. أي الوعد بتحرير الإنسان من عبودية الخطية وسلطان إبليس وسطوة الموت، وإعادة الشركة الروحية بينه وبين خالقه. ولقد حلّ ملكوت الله بمجيء المسيح المخلص الملك، لكنه بدأ رسمياً بعد موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات.

إن كل من يؤمن اليوم بالمسيح المخلص يصبح من أولاد الله ويملك الله بالتالي على حياته، ويغدو من رعايا ملكوت الله. ولاحظنا أن اليهود من معاصري المسيح رفضوا هذا المفهوم الصحيح لملكوت الله، لأنهم وجدوا تناقضاً بينه وبين مفاهيمهم الأرضية والعنصرية الضيقة.

نتيجة لذلك قد يطرح أحدهم السؤال: ما هي العلاقة اليوم بين اليهود وملكوت الله؟ وهل ما زالوا شعب الله المختار؟ للإجابة عن هذه التساؤلات علينا أن نعود إلى مثل هام قصته المخلص يسوع المسيح على الجموع. وهو مدوّن في الإنجيل بحسب بشارة متى الأصحاح الواحد والعشرين، وابتداء من العدد الثالث والثلاثين وإلى نهاية العدد الخامس والأربعين. سنقرأ الآن الأعداد الأولى منه:

تحدث المخلص المسيح بهذا المثل فقال: " كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطة بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلّمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. ثم أرسل أيضاً عبيدا آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني." (بشارة متى ٢١: ٣٣-٣٧)

ما هي معاني هذا المثل الهام يا ترى؟ يشير صاحب الكرم إلى الله تعالى. أما الكرامون الذين أوكلهم الله على كرمه فهم شعب العبرانيين قديماً. والكرم هو شريعة الله وتعاليمه وفرائض عبادته التي أنزلها الله على النبي موسى. وبمعنى آخر إن الكرم هو

الديانة اليهودية قبل مجيء المسيح. أما عبيد صاحب الكرم فهم الأنبياء الذين أرسلهم الله على مر السنين لهذا الشعب. وفعلا إضطهد العبرانيون أو اليهود خلال قرون التاريخ المتعاقبة أنبياء الله، لا بل قتلوا بعضاً منهم. وكان النبي موسى أول من عانى من تدميرهم واضطهادهم، واضطهدوا النبي إيليا. ولم يكن النبي إرميا آخر نبي يقتل على أيديهم. أما ابن صاحب الكرم فهو يشير بكل وضوح إلى المخلص يسوع المسيح ابن الله الوحيد، الذي أرسله الله الآب بحسب وعوده لهم في العهد القديم. لكن اليهود من معاصري المسيح لا سيما الرؤساء منهم لم يرحبوا به، لا بل تآمروا عليه وأسلموه للرومان ليصلب. وهو ما تنبأ به المسيح في هذا المثل عندما أضاف قائلاً:

" وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث. هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه." (بشارة متى ٢١: ٣٨ و٣٩) نلاحظ هنا أن المخلص المسيح أورد سببا هاما لرفض اليهود له، وهو لأن المسيح هو الوارث الطبيعي للكرم أو لشريعة الله. وهو الوحيد القادر على تنفيذ هذه الشريعة وإعلان ملكوت الله. بينما هم أي اليهود يريدون الانفراد بملكوت الله والاستئثار به.

وبعد أن انتهى المسيح من سرده للمثل سأل الجمع المحتشد من حوله قائلاً: " متى جاء صاحب الكرم - أي الله تعالى - ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ " أجابه الجمع: " أولئك الأرياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها." عندها فاجأ المسيح سامعيه من اليهود بقوله: " أما قرأتم في الكتب. الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذه وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه." (بشارة متى ٢١: ٤٠-٤٤)

أجل، لقد كان المسيح هو الحجر الذي رفضه البنائون أي رؤساء اليهود، مع أنه هو قد صار رأس الزاوية. رأس الزاوية الذي سيقوم على أساسه ملكوت الله. ولهذا السبب انتزع الله كرمه أي ملكوته من أيدي الكرامين اليهود وسلّمه إلى كرامين آخرين. فمن هم هؤلاء الكرامون الآخرون يا ترى؟ إنهم أولاد الله من المؤمنين الذين اختبروا نعمة الله وخلصه، والمجموعين من كل شعب وأمة ولسان. على هؤلاء تقع اليوم مسؤولية الاهتمام بملكوت الله، ونشر رسالة الخلاص المفرحة للعالم أجمع. وبتعبير آخر إن الكرامين اليوم هم كنيسة المسيح الحقيقية.

وهكذا لم يعد لليهودية أية علاقة بالله وملكوته، لقد رفض اليهود المسيح المخلص والملك، لأنه نادى بتعاليم ومبادئ تخالف بالكلية مفهومهم العنصري والضييق لكلمة الله المقدسة. لقد أراد اليهود المسيح ملكاً ومخلصاً لهم فقط دون سائر الشعوب، وأن ينقذهم من حكم الرومان لكي يسودوا على كافة الشعوب. لكن المخلص المسيح نادى بملكوت الله الذي يشمل البشر جميعاً.

وعلم مبادئ المحبة والسلام والعدل والمساواة بين البشر أجمعين. وبتعبير آخر إن المسيح أتى مخلصا ومنقذا بالمعنى الروحي الحقيقي للإنسان، حسب خطة الله الأزلية المعلنة في العهد القديم من الكتاب المقدس. أي أتى لكي يحرر الإنسان وينقذه من عبودية الخطية وسلطان إبليس وحكم الموت. وأن يهبه في نفس الوقت الغفران والحياة الروحية الجديدة والخلود. أو ليست هذه هي حاجة الإنسان الأولى والرئيسية؟ ولهذا كان لا بد أن يموت المسيح على الصليب ليكفر عن ذنوبنا، وأن يقوم من بين الأموات ساحقا الخطية، وقاهرا إبليس والموت.

وهنا نأتي أعزائي إلى حقيقة أخرى هامة أن اليهود بتأمرهم ضد المسيح، نفذوا ودون أن يدروا خطة الله الأزلية بفداء الجنس البشري وإعلان خلاصه وملكوته. ونتيجة لذلك يتبين لنا أن المسيحية الحقيقية اليوم هي المسؤولة عن ملكوت الله. وأن المسيحيين الحقيقيين هم شعب الله، والذين تقع على عاتقهم المسؤولية في نشر رسالة الخلاص المفرحة هذه للعالم أجمع. ويتضح لنا بالتالي أنه لم يعد لليهودية أية علاقة بملكوت الله، وأن اليهود لم يعودوا شعب الله المختار كما يظن الكثيرون.

ألا ترغب صديقي أن تصبح من شعب الله؟ أو لا تود أن تتمتع بكل مزايا أولاد الله الغالبين المنتصرين؟ لم لا تأتي بالتوبة والإيمان إلى الله طالبا منه الصفح والغفران باسم المسيح المخلص؟ وعندها يملك المسيح على حياتك، وتختبر خلاص الله المدهش.